SIBAWAYH Arabic Language and Education Vol.5 No.1 2024
eISSN 2716-5515 (63-75)

دور الكتاتيب القرآنية (الخلاوى) في محو الأمية عبر تعليم اللغة العربية في نيجيريا

Role Of Tsangaya (Almajiri) Schools on Illiteracy Alleviation in Nigeria

Ahmad Garba
Federal University of Kashere, Gombe State Nigeria
Department of Arts and Social Science Education
ahmadgarba315@gmail.com

Received: 12 Sept 2023, **Revised:** 20 Apr 2024, **Accepted:** 30 Apr 2024, **Published:** 30 June 2024

To Cite this Article (APA) : Garba, A. (2024). دور الكتاتيب القرآنية)الخلاوى (في محو الأمية عبر تعليم اللغة العربية في نيجيريا: Role Of Tsangaya (Almajiri) Schools on Illiteracy Alleviation in Nigeria. *SIBAWAYH Arabic Language and Education*, *5*(1), 63–75. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol5.1.6.2024

To link to this article : https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol5.1.6.2024

مستخلص البحث

إن المدارس القرآنية أو الخلاوى المعروف باسم مدرسة تسانغايا (tsangaya) نظام قديم في التاريخ الإسلامي، تمشي جنبا بجنب مع تاريخ نزول القرآن الكريم، وتُعد في الدول الأسلامية وفي نيجيريا خصوصا أول مدارس بعد المنزل يتعلم فيه الأطفال كتاب الله العظيم ومبادئ الدين الإسلامي، وكان لها أكبر الأثر في الحفاظ على اللغة العربية وانتشارها بين جميع الأعراق المسلمة؛ كما تساعد بشكل كبير في محو الأمية بين الشعوب، وهي المراكز الأساسية لتعليم مهارة القراءة والكتابة العربية منذ فترة طويلة، وذلك قبل الاستعمار البريطاني في المنطقة، وبعد مجيء التعليم الغربي صارت الإنجليزية لغة رسمية للدولة تُستعمل في المناهج التعليمية العامة، وهذا مما أنسى أو يكاد يُنسي المجتمع دور الكتاتيب في تثقيف أفراده مبادئ القراءة والكتابة العربية والتي تمثل دورا إيجابيا في تعليم الدين الإسلامي، ولهذا الغرض تهدف هذه الورقة السعي إلى إبراز دور الكتاتيب القرآنية في نيجيريا، وذلك في تعليم اللغة العربية، وخاصة فيما يمس تعليم مهارتي القراءة والكتابة على المستوى التقليدي، كما ستعرض هذه الدراسة بعض الأدوار التي تلعبها هذه الخلاوى القرآنية في محو الأمية بين الشعوب، ثم المشاكل التي تواجه هذه المدارس مع ذكر بعض الحلول المتمثلة، وكما وصلت نتيجة هذه الدراسة في أن للعلماء الكتاتيب في نيجيريا إسهامات قيمة جدا في تعليم الأطفال أمور دينية ودنيوية.

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب، محو الأمية، مهارات، تعليم، نيجيريا.

Abstract

Generally, in Islamic countries and in Nigeria in particular, Tsangaya schools are considered the first schools after the home in which children learn Qur'an and some principles of Islamic religion, it has the greatest impact in preserving the Arabic language and spreading it among all Muslim ethnicities. tsangaya schools have been the main centers for teaching Arabic reading and writing skills for a long time even before British colonialism in the region, however, after the advent of Western education, English became the official language in Nigeria and is used in the general educational curricula. This is what made society almost forget, the roles of tsangaya schools in the society, which represents a positive role in teaching the Islamic religion. For this purpose, this paper aims to highlight on the roles of tsangaya (Quranic) schools in Nigeria in teaching Arabic and Islamic civilization, especially with regard to teaching reading and writing skills through classical methods. As well as its process on alleviating illiteracy in the society, This study will also present some of the problems facing these schools, alongside some solutions, where as the result of this study revealed that teachers of tsangaya schools have given a very valuable contributions in Nigeria towards teaching religious matters, ethics and moral values to the societies.

Keywords: Tsangaya school, Illiteracy alleviation, Skills, Teaching, Nigeria

مقدمة

إن للكتاتيب دور إيجابي فيمحو الأمية عبر تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في نيجيريا، وخاصة ما يمت بصلة إلى تعليم مهارة القراءة والكتابة العربية، حيث تخرج من هذه المدارس جماعة أجادوا تلاوة القرآن الكريم حفظا واستظهارا، وخاصة من شعوب الْهُوْسَا واليُورْبَا والكَانُورِي، حتى أن بعضهم أجادوا اللسان العربي نطقا وكتابة، كما اتخذوها جسرا واصلا إلى معرفة الدين الإسلامي. وكما هو معروف أن مهارة القراءة هي الوسيلة الجوهرية لمعرفة اللغة العربية لغة الدين المرتبطة ارتباطا وثيقا بتعلم وتعليم القرآن الكريم الذي يضفي على هذه اللغة الهيبة والقداسة والاحترام، كما أنها وسيلة أساسية إلى معرفة التعاليم الإسلامية، مما جعل تعلم اللغة العربية لدى طلاب الكتاتيب في نيجيريا وسيلة إلى الغاية، وهي تعلم القرآن الكريم والدين الإسلامي .وهذا ما أدى إلى وجود المجهودات الفردية والجماعية والخارجية تهتم بتعلمها وتعليمها في المدارس القرآنية النيجيرية (محمد منصور، 2020).

يتبين للباحث أن هذه المدارس قد أسّست منذ دخول الإسلام إلى هذه البلاد، وكان لها صفوف في الجوامع والأكواخ الطينية وعلى قارعة الطريق، وفي أكثر الأحيان لا تشبه هذه الصفوف المدارس الحديثة، فالمعلّمون يتمكّنون من قراءة القرآن الكريم بصورة عامة، والأكثر منهم تعلماً قد تعلّموا مواضيع مختلفة في اللغة والدين من أحد العلماء البارزين، وبما أن واجب كلّ والد مسلم أن يتأكد من قيام ولده بتعلّم القرآن الكريم والصلاة، لذلك تجد هذه المدارس بكل بلد وقرية، وفي كثير من الأحيان يقوم المعلّم بتدريس طلابه في بيته.

وقد ذكر خالد حسن عبد الله (2023م) أن في عام 1961م قُدّر عدد المدارس القرآنية في شمال نيجيريا، ومن ضمنها مدارس العلم – وهي التي تُدرّس فيها العلوم الشرعية – بمقدار 51,921 مدرسة، وعدد طلاب هذه المدارس ما يقارب 398,118 طالبا (سليم حكيم، 1966).

واستمرت تلك المدارس في تطوّر ملاحظ عبر السنين والفترات اللاحقة نتيجة للتطوّر الذي شهدته البلاد في مختلف المجالات والقطاعات، وازداد عدد المدارس العربية الإسلامية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم والخلاوي (Tsangaya)في كلّ المدن والقرى النيجيرية. ويقوم أولياء الأطفال في جميع المناطق التي فيها المسلمون في نيجيريا بإرسال أطفالهم إلى المدارس القرآنية بعد انتهاء الدوام في مدارسهم أملاً في أن تكون لهم ملكة في حفظ القرآن الكريم، وفي القرى التي لا توجد بها مدارس نظامية قد يقضي الطفل طفولته في هذه المدارس، ونتيجة ذلك يكون قد حفظ القرآن دون فهم، وتمكّن من القيام بكتابة بسيطة عن طريق الاستنساخ والعد البسيط في أغلب الأحيان إلى العشرة، ويكون قد تعلّم أصول الصلاة والفروض الدينية.

أما عن المؤهلات العلمية للمعلّم في هذه المرحلة؛ فهي أن يستطيع قراءة القرآن كلّه قراءة صحيحة، ويحفظ على الأقل حزباً واحداً من سورة الأعلى إلى سورة الناس، فمن تمكّن من تحصيل هذين الشرطين فقد أصبح مؤهلاً للتدريس في هذه المدارس في بيئته. وأما طريقة التعليم في هذه المرحلة بدائية، وهي أن يكتب المعلّم للولد الحروف الهجائية أولاً غير مشكّلة على اللوح ليتعلّمها، ثم يكتب له سورة الفاتحة غير مشكّلة أيضاً ليتعلّم النطق بحروفها متصلة، وهكذا حتى يصل إلى سورة الهُمَزة، ثم يعود إلى الأوّل ليتعلّم كتابة هذه السورة نفسها وهي مشكّلة، ثم يُطالب بحفظها، وهذه المرحلة وحدها تستغرق من المتعلّم عدة شهور، ثم يواصل قراءة السور مع الحفظ حتى يصل إلى سورة الأعلى، وهنا تنتهي مطالبته بالحفظ غالباً، فيواصل قراءة السور وهي مكتوبة على ذلك اللوح إلى سورة النبأ، وهو الحزب الثاني، وهكذا يختم القرآن كله، وفي أثناء ذلك يتعلم الكتابة بنفسه فيريح معلّمه من عبء الكتابة على اللوح (شيخو أحمد غلادنث، 1993).

وقد استغل بعض المعلّمين تلاميذهم في القرى استغلالاً سيئاً، حيث كانوا يسخّرونهم في فلاحة أراضيهم الزراعية، واتخذ بعضهم عادة التنقل من القرى إلى المدن مع هؤلاء الأولاد، حيث يصبح الأولاد متسوّلين يجمعون النقود لهم، مما أدى بكثير منهم إلى الانحراف الخُلُقي، ولقد قامت الحكومة بمحاولات كثيرة لمنع هذه الظاهرة لكن باءت أكثرها بالإخفاق. هذه هي حالة المدارس القرآنية قبل ظهور المدارس الحديثة، ولا تزال تلك المدارس القرآنية موجودة إلى يومنا هذا، وخصوصاً في القرى، والطرق المتّبعة للتعليم فيها لا شك أنها طرق بدائية، يتكبّد المعلّم والولد على السواء تعباً كبيراً في مقابل فائدة قليلة، وسوف نرى أن الوضع قد تغيّر بعد إنشاء المدارس الحديثة، حيث كان المجهود أقلّ والفائدة أعظم.

نشأة الكتاتيب

الكتاتيب: هي جمع لكلمة كُتَّاب، تلك الكلمة التي تطلق على مكانٍ أو فضاءٍ واسعٍ يكون بجوار المسجد غالبًا، يُشرِفُ فيه شيخُ الحيِّ أو إمامُ المسجد على تعليم الأطفال أساسيّات القراءة والكتابة العربيّة والقرآن الكريم. وإنّنا إذا ما رجعنا إلى تاريخنا الإسلامي نجد أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان المعلّم الأوّل لأصحابه، يحثّهم على طلب العلم ويُقرِئُهم القرآن الكريم، ثمّ كان يُقرِئُ بعضُهم بعضًا، ويحثُّ كلَّ واحدٍ منهم على تعلّم القراءة والكتابة، بل إنّه صلى الله عليه وسلم جعل التعليم مساويًا للحريّة، حيث جعل فداءَ بعض أسرى بدر ممّن لا مال لهم أن يعلّم الواحد منهم عشرةً من الغلمان الكتابةَ فيُخلّى سبيلُهُ، فكان ممّن تعلّم منهم زيدُ بن ثابتٍ رضي الله عنه (اسماعيل ، 1991)، وكانت هذه الحادثةُ نقطةَ نشوءِ الكتاتيب في التاريخ الإسلاميّ، وقد استمر نظام تعليم القراءة والكتابة بأمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثمّ الخلفاء من بعده، روي عن عبد الله بن سعيد بن العاص رضي الله عنه؛ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أمره أن يُعلّم الناس الكتابة بالمدينة، وكان كاتبا محسنًا (محمد عبد الحي الكتاني، 1382).

وقد استمرّ التعليمُ بالكتاتيب مدى الأزمنة والعصور في كلّ المجتمعات الإسلاميَّةِ خاصّةً في البوادي والقرى، فهذه الكتاتيبُ مع بساطتها وضيقِ مساحتِها- عادةً -إلاّ أنّ لها دورًا مهمًّا في محو الأميّة وربط المتعلّمين بكتاب الله، وتنوير عقولهم وصقل ألسنتهم منذ الصغر، وممّن اشتهروا في تاريخنا الإسلامي بالتعليم في الكتاتيب التابعيُّ المقرئُ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ الكوفيُّ وقيسُ بن سعدٍ، وعطاءُ بن رباحٍ والكُمّيت الشاعر، وعبد الحميد كاتب بني أميّة، والإمام الزهريّ والأعمش والحجاج بن يوسف الثقفيّ، وأسد بن الفرات فاتح صقليّة، وغيرهم كثير، ومنهم من كان يعلّم الصبيان أوّل النهار والبنات في آخره (محمد، 1972).

ونلاحظ من الأسماء المذكورة أنّ الكتاتيب في الزمن الأوّل كان يقوم عليها علماء كبار، حيث كان الأطفال ينهلون منهم شيئًا من العلوم الإسلاميّة إضافة إلى القرآن الكريم، وهذا ما افتقدَتْهُ الكتاتيبُ في العصور اللاحقة.

منهج الكتاتيب في التعليم

كان التعلُّم في الكُتاب يأخذ معظم نهار الطالب من بعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر أو العصر عدا يومَ الخامس ويوم الجمعةِ غالبًا، ويختلفُ منهج التعليم من كُتاب إلى آخر حسب بيئة الملقِّن ومستوى ثقافته، حيث يجلس المعلّم على الأرض مواجهًا طلّابه، ويتجمّع التلاميذ المبتدئون على مسافةٍ قريبةٍ من الشيخ المعلِّمِ، ويقوم مساعدٌ له

من الطلبة المتميّزين بإرشادهم، وغالبًا ما يعتمد التحفيظ على وسائل معروفة من ألواح خشبيّةٍ وأقلام. وأوّل ما يبدأ به الطالب في الكتاب هو تعلم الحروف والكتابة والقراءة عن طريق الشيخ أو عن طريق مساعديه، ثم يلقّنُهُ الشيخُ القرآنَ الكريم إلى أن يتعلّم ويصبحَ ماهرًا يكتُبُ لوحَهُ بيدِهِ، ويُلزِمُهُمُ الشيخ باستظهار القديم قبلَ الجديدِ من المحفوظ، ولا يسمحُ بالخطأ فيه، فإن أخطأ يكلّفُه بإعادته مرّات ومرّات حتى يستظهرَه، وقد يعاقبُهُ إن أخطأ. كانت عقوبات شيخ الكتّاب نظامًا متعارفًا في الكتاتيب، ولكنّها قد تكون قاسيةً في بعض الأحيان، حتى إنّ منها ما

كان سببًا في انفصال العديد من الطلبة عن التعلّم وحفظ القرآن، ومنها ما ترك آثاره السلبيّة في نفوس كثير من الحفظة، كما لا ينكر أحدٌ الآثارَ الإيجابيّة للعقوبات حينما توضع في موضعها وبمقدارها الصحيح. وأمّا استراحة الطلاب والمعلّمين؛ فقد كانت يومَا الخامس والجمعة، وكانت بداية ذلك في عصر الخلافة الراشدة استنادًا إلى ما رُوِيَ أنّ أطفال الكُتّاب في المدينة المنورة خرجوا إلى ظاهرها في يوم خميسٍ لاستقبالِ أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه؛ عند عودته من رحلة فتح بيت المقدس، فأصابهم من السير على الأقدام عناءٌ شديدٌ، فأشار عمر ألّا يذهب الأطفال إلى الكتّاب في يوم الجمعة التالي ليستريحوا ممّا نالهم (محمد عبد الحي الكتاني، 1382)، وصار الأمر بعد ذلك عادةً متّبعةً في أن يكون يومُ الجمعة يومَ راحةٍ وإجازة.

وقد خرَّجت تلك الكتاتيب حُفَّاظًا وقُراء وعلماء كبار في الماضي، ورغم انتشار التعليم الأكاديميّ فقد كان طلاب الكتاتيب متميّزين في المدارس لحذق فهمهم وتوقّد ذاكرتهم بسبب أخذهم القرآن الكريم غضًّا طريًّا منذ نعومة أظفارهم، إلّا أنّ دورها قلَّ في الأزمنة الأخيرة وضعُفَت وظيفتُها، لأنّها لم تَرَ اهتمامًا ولا تطويرًا في منهجها، إضافة إلى انتشار المدارس الحكوميّة.

نظام التعليم في الكتاتيب النيجيرية

أما نظام التعليم في الكتاتيب النيجيرية، فإنه قريب من منهج أهل المغرب، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته بأن منهج أهل المغرب ومن تبعهم من قرى البربر في تعليم الصغار، يقتصر على تعليم القرآن فقط، وكانوا يأخذون أثناء المدارسة مبادئ الرسم، واختلاف حملة القرآن فيه، ولا يخلطون ذلك بشئ مما سواه في مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه، ولا من شعر ولا من غيره مما يتصل بفن القول (عبد الرحمن، 2004). ومن الجدير بالذكر، أن المدارس القرآنية في نيجيريا غالبا ما يهتمون بتلاوة القرآن واستظهاره حفظا، ولا يخلطون القرآن بشئ من العلوم، وقد يكتفون بحفظ بعض السور القصار لتأدية الصلوات المفروضة، وربما يوجد في القليل من يضيف إلى القرآن دروسا في التوحيد والفقه خصوصا في بيوت العلماء المشهورين (آدم عبد الله الإلوري، 2014).

وغاية ما في الأمر، فإن الكتاتيب النيجيرية تمثل دور المدارس الابتدائية في تربية الناشئين، يفد إليها التلاميذ منذ الطفولة المبكرة (ما بين5 إلى10 سنوات)، والمتعلم فيها يسمى (Almajiri) وتعني الكلمة بالعربية (المهاجر)، فحذف منها الهاء، وألحق بآخرها ياء، فصارت (اَلْمَاجِرِي)، ولعل سبب هذه التسمية يرجع إلى كثرة تنقلات هؤلاء التلاميذ من بلادهم إلى بلاد أخرى طلبا لمعرفة قراءة القرآن وحفظه. وفيما بعد، تطورت دلالات هذه الكلمة، فأصبحت تدل على المتسول، لكون هؤلاء التلاميذ يتسولون طلبا للمأكل، وكما يقصد بها أيضا: التلميذ بمعناه العام (Adam, 2011). وقد أوضح الأستاذ علي أبوبكر دور هذه المدارس في تثقيف أبناء المسلمين، حيث قسمها إلى قسمين: قسم يتلقى فيه الصبيان دروس القرآن الكريم قراءة وترتيلا من غير حفظ، وقسم يدرب التلاميذ على التلاوة وحفظ القرآن.

والقسم الأول كمرحلة ابتدائية، يلتحق التلميذ بهذه المدرسة في الخامسة من عمره. ويطلق عليها في العرف المحلي تسمية (Makarantar Allo) أي مدرسة اللوح، لأن الدارسين يستخدمون الألواح لكتابة دروسهم فيها، وبعضهم يسمونها: (Makarantar Toka) بمعنى مدرسة الرماد، للدلالة على ما يفعله الدارسون فيها من جمع حزمة الحطب أو الحشيش أو القضبان لاشتعال النيران يستضيئون بها ليلا لمراجعة دروسهم.

وقد أصبح هذا النوع من المدارس جماهيريا في شمالي نيجيريا، إذ قلما تجد أسرة في المجتمع إلا وتلتحق أفرادها بالكُتَّاب، وذلك لأن الأب المسلم لا يجد راحة البال إلا بعد إلحاق ولده أو بنته بها طمعا للثواب، وتبركا بتلاوة آي الذكر الحكيم. أما طريقة التدريس فيها، فلا تزال تراثية، يُلقى التديس باللغة الأم) لغة الهوسا (ومؤهلات المدرس فيها :أن يتمكن من قراءة القرآن كله قراءة صحيحة، ويحفظ على الأقل حزبا واحدا، من سورة الأعلى إلى سورة الناس .فمتى ما تحصل على هذين الشرطين، فقد أحظى كفاءة التدريس في هذه المدرسة، وهو جدير بأن يؤسس كُتاَّبا في بيته (علي أبوبكر، 2014).

وتجدر الإشارة إلى أن المعهد القرآنية في نيجيريا تتبنى في نظام تعليمها المنهج الوصفي، وخاصة فيما يمت بصلة إلى تدريس مهارة القراءة الت يتحدث عنها هذا البحث. وكان ها المنهج يعتني بكفاءة التلاميذ من حيث إمكانياتهم، وأعمارهم الجسمية والعقلية (Cognitive Development) بحيث يتمكن التلميذ من الوصول إلى الأهداف التربوية بصورة ناجحة (Sanusi, 2006).

دور الكتاتيب في محو الأمية عبر تعليم مهارتي القراءة والكتابة

إن لمهارة القراءة أهمية لا تُنكر في تثقيف المجتمع، لأنها باب للوصول إلى المعارف، وتُعتبر في المستوى الثالث بعد مهارتي

الاستماع والكلام، فالقراءة ثم الكتابة (خالد حسن عبد الله، 2005). وفيما يتعلق بدور الكتاتيب في تعليم مهارة القراءة العربية، فيمكن تصنيف ذلك وفقا لنظام الكتاتيب، والتي تعتني بتنمية إمكانيات التلميذ واستعداداته على نحو ما يلي:

1- المرحلة الأولى: حفظ السور القصار: تبتدئ هذه المرحلة منذ الطفولة المبكرة، إذا أفصح الطفل واقتدر على الكلام، فيبدأ المدرس بتلقينه قراءة القرآن الكريم حفظا، من سورة الفاتحة إلى سورة الفيل.

2- المرحلة الثانية: تعليم الحروف غير المشكولة: (Babbaku) تبتدئ هذه المرحلة بتعليم التلميذ قراءة أحرف القرآن بدون شكل على نمط الخط المغربي، وتكون الحروف مكتوبة على اللوح الخشبي، ولكل حرف لقب هوساوي وفقا لهيئته نطقا وكتابة، ابتداء بالاستعاذة وانتهاء إلى سورة الفيل .يكتب المدرس الحروف الهجائية غير مشكولة وفقا لإمكانية التلميذ، نحو: (أ، ع، و، ذ)، يقرأ الأستاذ حرفا بعد حرف والتلميذ يستمع، ثم يعيد القراءة لمرة ثانية، ثم يأمر التلميذ بأن يتابع القراءة إثر قراءته مشيرا إلى الحرف المكرر قراءته بأصبعه. وفي الخطوة الأخيرة يقرأ التلميذ وحده بمحضر المدرس وهو يصحح له الأخطاء نطقا وقراءة، ثم يأمره أن يعتزل إلى مكان للمراجعة والتكرار. وبعد الانتهاء من قراءة الاستعاذة والبسملة، يكتب له سورة الفاتحة غير مشكولة ليتعلم النطق بحروفها متصلة، ثم المعوذتين، ثم سورة الإخلاص، فسورة اللهب، تليها سورة النصر، وهكذا حتى يصل إلى سورة الهمزة، وكانت طريقة التدريس هنا تهدف إلى تعليم التلميذ كيفية النطق بالحروف غير مشكولة وفقا لورودها في السور القرآنية المدروسة ابتداء بالاستعاذة والبسملة.

3- المرحلة الثالثة: تعليم الحروف المشكولة: (Farfaru) وهي عبارة عن مرحلة تعلم انطق بالحركات ابتداء من الاستعاذة والبسملة إلى سورة الفيل .والرجاء هنا، أن يميز التلميذ الحركات الثلاث(الفتح والكسر والضم)، ثم المد بهذه الحركات، ثم النطق بالحروف بالحروف الساكنة والمشددة .

4- المرحلة الرابعة: قراءة الجمل والآيات: (Hajjatu\Tattashiya) تبتدئ هذه المرحلة بعد ما يتمكن التلميذ من قراءة الحروف والكلمات، فيبدأ المدرس يقرؤه آية أو آيتين أو ثلاث آيات على قدر فهمه ثم يؤمر بتكرارها إلى أن يتقنها حفظا وقراءة. وبعد الإتقان يعود إلى المدرس للمزيد..وهكذا. وبعض الشيوخ يدربون تلاميذهم في هذه المرحلة إلى أن يحفظوا خمسة أو عشرة أحزب (Sanusi, 2006).

5- المرحلة الخامسة: مرحلة ما قبل النضوج: (Matakin Darasu) قبل إلحاق التلميذ بهذه المرحلة لا بد أن يتمكن من القراءة والكتابة العربية، بحيث يستعد استعدادا كاملا لتلقي الدروس من أستاذه .يبدأ التلميذ درسه بكتابة الثمن أو الربع من كل حزب، ثم ينضم إلى حلقة الدرس أمام المدرس، وبجواره جماعة من حفاظ القرآن الكريم يساعدون الأستاذ في تصحيح الأخطاء نطقا وكتابة .وهكذا تستمر

حالته إلى أن يختم القرآن الكريم (Saukar Zuku)، ثم يستمر هكذا إلى أن يتمكن من حفظ القرآن بأكمله (محمد منصور، 2020).

واقع الكتاتيب القرآنية اليوم

ومما أشارت إليه آسية بنسلمون (2019م) من حال المدارس الكتاتيب في قولها "لقد ضَعُفَ دورُ الكتاتيب في عصرنا الحالي نظرًا لحلول المدرسة والتعليم الرسميّ محلّها، ولكنها ما زالت مستمرّة في معظم المجتمعات الإسلاميّة في فترة الإجازة الصيفيّة أو بعد العودة من المدرسة، ومع كلّ التهميش والمضايقات التي تُحاصِرُها فما زالت قائمةً بفضل الله، وقد اتخذت بعض القوى المتنفذة في العالم من هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م حجة للضغط على الدول الإسلامية لإجبارها على إغلاق كثير من كتاتيب تعليم القرآن الكريم، كما حدث في باكستان وأفغانستان وغيرها من الدول بحجة أن هذه الكتاتيب تخرّج المتطرفين والإرهابيين، وقد وجدت بعض الحكومات العلمانيَّة المتطرفة في ذلك الوقت في التوجه الأمريكي حجة للتضييق على الكتاتيب والمدارس الإسلامية من خلال إغلاقها أو التدخل في شؤونها وبرامجها الداخلية كما فعل نظام الأسد في سوريا عقب حربي أفغانستان والعراق.

إن عدم إدراكِ أهمّيّة الكتاتيب القرآنية ودورِها في الحفاظ على الدين واللغة من قبل بعض المجتمعات يُهدّدُ مستقبلَها، ممّا يوجِبُ علينا التعريفَ الدائمَ بدورها في المجتمع والحرصَ على دعم مسيرتها. رغم ما هو معلومٌ للجميع من إيجابياتِ هذه الكتاتيبِ فإنّها لا تخلو من بعض المآخذ، منها:

1- أنّ بعض المعلمينَ لا يهتمّ بمن تحت يدِهِ بمقدار ما يهتمّ بما يجني منهم من رزقٍ زهيدٍ سواء من أئمّة مساجد أو سواهم، وبعضهم متطوّعون لا ينالون مقابل عملهم أجرًا ممّا يُشغلهم عن التفرّغ التامّ للتعليم.

2- ضعفُ التكوينِ العلميّ والمنهجيّ للشيخ المعلّم، فأغلبهم لا يزيدون على حفظ القرآن الكريم، دون إلمامٍ بعلومِ اللغة أو التفسير، ممّا يقيم قطيعة بين تلاوة القرآن الكريم وفهمِهِ، وبين الحفظِ والسلوكِ.

3- قصورُ البرنامج التعليميّ فيها عن الحِفاظ على شخصيّة اليافعين في مواجهة دعوات التطرّف والغلوّ التي تستغل حماس طلّاب القرآن لخدمة الإسلام؛ إذ تقوم بتوجيه بعضهم إلى خدمة أهدافها الشريرة، كما فعلت داعش في سوريا والعراق.

4- ومن سلبيات الكتاتيب قديمًا وحديثًا الاهتمام بتحفيظ الذكور دون الإناث في أغلب الأحيان.

5- عدم الاهتمام بطرق التعليم الحديثة- التي تتناسب أكثر مع تركيبة الطفل في عصرنا -وما فيها من وسائل التحفيز التي تحبّب الطالب بكتاب الله، وتجعله يتردّد على الكُتّاب بفرحٍ وشَغَفٍ (آسية بنسلمون، 2019).

الصعوبات والعوائق تجاه الكتاتيب القرآنية في نيجيريا

بجانب التطوارت الملموسة في تعليم القراءة لغير الناطقين بالعربية ومحو الأمية، تواجه الكتاتيب في نيجيريا مشاكل في مجالاتها التربوية، وهذه المشاكل تحتاج إلى العلاج على الفور لحماية الجو التعلمي والتعليمي من الضياع والذوبان. ومن بين هذه المشاكل كما ذكر الدكتور علي أبو بكر: تسخير التلاميذ في الأراضي الزراعية للفلاحة، وهذا مما يذهب كثيرا من أوقات التعلم في الأعمال الزراعية، مما يعكس سلبا في نتائجهم الدراسية. ومن العوائق التعلمية في هذه المدارس، كثرة التنقلات من القرى إلى المدن بلا مؤنة كافية، وهذا مما يجعل التلاميذ متسولين في الأسواق وطرقات المدينة (علي أبوبكر، 2014). وبعضهم يستأجرون للقيام بالأعمال المنزلية لأفراد المدينة، وبعضهم يشتغلون بالصناعات اليدوية، مثل تقليم الأظافر، وتنظيف الأحذية والألبسة، بغية الحصول على ما يُسد به الرمق.

ثم استمر محمد منصور جبريل (2020م) يقول وبالجملة فإن المشاكل التي تواجه هذه المدارس كثيرة، يمكن حصرها في النقاط التالية:

1- تسخير التلاميذ في الأعمال الزراعية(وهذا الأمر خاص بالمدارس الريفية).
2- كثرة التنقلات من القرى إلى المدن.
3- مجاوزة الحد عند العقوبة.
4- قلة الاهتمام بالنظافة.
5- المشاكل الاقتصادية.
6- حاجة إلى تجديد المنهج التعليمي.

الكتاتيب القرآنية في منظور الحكومة النيجيرية في الوقت الراهن

تقتضي المناهج التربوية العناية بتربية الأطفال من حيث نموهم الجسمي والعقلي والنفسي حتى يكونوا أسوة حسنة لغيرهم. وبما أن الكتاتيب النيجيرية تعاني من المشاكل التربوية والاقتصادية والصحية مما يعرقلها عن المضي قدما نحو الوصول إلى أهدافها التربوية، ولهذه الأسباب جاءت هيئة التربية لتعليم الشامل الأساسي (universal basic education) تحت رعاية وزارة التربية والتعليم بالنظام التي أرادت أن تبني الكتاتيب عليها، وأسست هذه الحكومة بعض المدارس على شكل النظامية التي تنوب هذه الكتاتيب لما لها من مشاكل كثيرة، وجعلت هذه الحكومة بعض الأهداف لنظام هذه الكتاتيب الجديدة، وكانت يعد برنامج تعليم تسانغايا (tsangaya) إحدى مبادرات الحكومة الفيدرالية لمعالجة مشاكل الأطفال خارج المدرسة لتحقيق الأهداف التالية:

1- توفير الوصول والمساواة في التعليم الأساسي لجميع الأطفال في سن المدرسة.
2- تثبيط الترحال والتسول والقضاء عليه تدريجياً في البلاد.
3- دعم ظهور بيئة مواتية يمكن أن تسهل الدمج الفعال للتخصصات الإسلامية في برنامج التعليم الأساسي.

النظام:

الإدارة تكون تحت رئاسة مساعد المدير الذي يساعده موظفان آخران، والمدير المساعد الذي ينسق أنشطة الإدارة، يتصل بمجالس التعليم الأساسي الشامل بالولاية بشأن برنامج تعليم تسانغايا ويقدم تقاريره إلى الأمين التنفيذي.

المهام:

وتقوم الإدارة بالمهام التالية:

1- تنفيذ جميع قرارات مجلس إدارة لجنة التعليم الأساسي العالمي وإدارتها بشأن برنامج تعليم تسانغايا.
2- تخطيط بشكل تدريجي لتنفيذ برنامج تسانغايا التعليمي.
3- تنسيق أنشطة مجالس الدولة للتعليم الأساسي الشامل التي لها علاقة ببرنامج تعليم تسانغايا.
4- قيام بجمع ومقارنة وتقديم تقرير عن حالة مدارس تسانجايا النموذجية إلى إدارة لجنة التعليم الأساسي العالمي.
5- القيام بواجبات أخرى حسب توجيهات الإدارة.

نحو تحسين النظام التعليميّ في الكتاتيب القرآنية (الخلاوى) في نيجيريا

لقد كان للكتاتيب القرآنيّة أعظمُ الأثرِ في التاريخ الإسلاميّ، وما زالت إلى اليوم تحافظ على لغة أبنائنا في ظلّ الإهمال الحكوميّ للغة العربيّة والاهتمام المبالغ فيه باللغات الأجنبيّة، وما زال لها الدورُ الأكبرُ في تعليم عامّة الناس مبادئَ الدين والوضوءِ والصلاةِ؛ إذ أهمَلَت الحكوماتُ العربيّةُ والإسلاميّة هذا الواجبَ، وكذلك الحال في كثير من الدول الإسلامية، رغم أنها ما زالت هي الرابط الأهمّ بين الطفل المسلم ودينِهِ، ففيه يتعلّم الأطفالُ الوضوءَ والصلاة والحروف العربيّة وقراءَةَ القرآن وأركانَ الإيمان والإسلام، ولكنّ هذا لا يعني أبدًا أن نغفلَ عن العملِ على تصويبِ هذِهِ الكتاتيبِ ودفعِها للمزيدِ من العطاء ...وسأشيرُ إلى بعضِ النقاطِ التي تحتاجُ منّا عنايةً وتصويبًا.

1- وممّا ينبغي الانتباه له هو عدم اللجوء إلى العقوبات العنيفة التي تنفّر الطلاب من حفظ القرآن، لأنّ القرآن ميسّرٌ من عند الله، فيجبُ التيسير والتسهيلُ في تحفيظه، فينبغي بسطُ يدِ الرحمة للمتعلّمين- خاصّة الصغار منهم -وتشجيعُهم على قراءة القرآن وحفظه.
2- يجب أن تضمّ الكتاتيب دائمًا جناحًا للبنات، للحرص على تخريج الفتاة القرآنيّة المتشبّعة بأخلاق القرآن الكريم.
3- يستحبّ للشيخ المعلّم أن يستخدم السبورة لشرح بعض قواعد التجويد، أو لشرح الآيات، مراعاة للفروق الفرديّة، ولا يتمّ الاقتصار على التلقين، ففي بالِ الطفل اليوم كثيرٌ ممّا يُشغِلُهُ ويحتاجُ إلى مزيدٍ من جذب اهتمامه والعناية به.

4- خلقُ جوٍّ من الراحة النفسيّة للطلاب بإشعارهم بالأمان وعدم ترهيبهم، وفي المقابل تحسيسهم بعظمة القرآن الكريم وعدم ترك المجال لهم للاستهانة بالحفظ أو بحرمة القرآن الكريم.

5- ربطُ شراكاتٍ مع الجمعيّات الإسلاميّة أو مع مؤسّسات الأوقافِ لتنظيمِ مسابقاتٍ وتحفيز الحافظين والحافظات وتكريم أصحاب الأخلاق الحسنة.

6- يجب الاهتمام بكلّ الوسائل التي تُسهِمُ في نشر ثقافةِ حفظ كتاب الله تعالى بين الناس، وهذا واجبُ على القائمين على هذه الكتاتيب القرآنية اليوم أن يُلحِقُوا بها البرامج التعليميّة التي تَحفَظُ الطلَّاب من أفكار الغلوّ والتشدّد التي ما زالت تتشبّثُ بالبقاء في المخيمات أو الداخل المحرّر؛ فإن من أهمّ الأخطار التي تهدّد طلاب الكتاتيب اليوم التطرّف والغلوّ.

خاتمة

ومع تزايد مستوى الفقر في البلاد وخاصة بلاد شمال نيجيريا، أصبحت رعاية مدراس الكتاتيب عبئًا ثقيلًا للغاية على العلماء الذين لم يتبق لهم خيار سوى إرسال هؤلاء الصبيان الصغار للتسول في المجتمع .ولتغطية نفقاتهم، بدأ بعض هؤلاء العلماء في فرض ما يسمى "kudin sati" على هؤلاء الصبيان، وهو شكل من أشكال الرسوم الأسبوعية مقابل الدروس التي يتلقونها. وقد تم طمأنتهم بأن التسول أفضل من السرقة. لقد سبح هؤلاء الأولاد في المجتمع دون أي تأثير، حيث كانوا ينتقلون من شارع إلى شارع، ومن منزل إلى منزل، ومن مركبة إلى أخرى، كانت في كل مكان الأسواق ومواقف السيارات والمطاعم وبوابات الجامعة تسميها .وأصبحوا عبئا وإزعاجا للمجتمع .إنه لأمر محزن حقًا عندما ترى هؤلاء الصبيان الجياع، الذين يعانون من سوء التغذية، والمرضى، ويسارعون للحصول على بقايا الطعام الموبوء بالذباب، ويبحثون في سلة المهملات فقط للبقاء على قيد الحياة.

في ظل الخلفية المذكورة أعلاه، أوصى الباحث بأن تكون مدارس(تسانغايا) الكتاتيب بمثابة مدارس تعليمية معززة لتجنب التطرف والتجنيد في الجماعات الإرهابية. ينبغي أن تصبح مدارس تسانغايا مراكز لمكافحة التطرف العنيف من أجل تحقيق مجتمع سلمي وعادل. إذا تم ذلك، سيتم تقليل مشكلة التجوال إلى أدنى حد ممكن ومع مرور الوقت سيتم القضاء عليها تمامًا. ومع ذلك، يجب تدريب علماء مدارس تسانغايا للعمل كمدرسين للتربية غير رسميين وكذلك مدرسي للتربية الإسلامية. يجب أن يكون هناك راتب أسبوعي للمعلمين حتى لا يدفعوا الطلاب للتسول ولا يقترضوا أو يجمعوا أموال الطالب .مما يجعل المعلمين والمجتمع يبنون الثقة في النظام. كما أنه سيمنح طلاب الكتاتيب الثقة والأمل في التعلم. بالإضافة إلى ما سبق، ينبغي أيضًا أخذ هذه الأمور بعين الاعتبار؛

1- ضرورة إنشاء مجالس الإدارة لهذه المدارس، حيث أن صيانة المدارس القرآنية وتطويرها ليس عملاً فردياً، وليس مجرد ضرورة، بل واجب على كل إنسان يؤمن بألوهية القرآن الكريم .إن مما لا شك فيه أنه يتطلب تقسيم العمل والوظائف، يتطلب نظام تسانغايا اهتماما عاجلا نحو التكامل الحقيقي الذي يمكن تحقيقه من خلال خدمة المجتمع من قبل أشخاص ملتزمين.

2- هناك حاجة إلى إنشاء لجان خاصة للكتاتيب القرآنية (تسانغايا) لاستكمال عمل مجالس الإدارة أو مجلس المحافظين، من المستحسن أن يكون لكل مدرسة ثلاث لجان، والتي يجب أن تشمل اللجنة التعليم والتوجيه، واللجنة الرعاية الاجتماعية ثم اللجنة شؤون المالية. وكما تشير أسمائهم، تتولى لجنة التعليم تعديل وصيانة المعرفة القرآنية والتوحيد والتجويد .تتولى لجنة التوجيه والإرشاد شؤون الطلاب كافة، بينما تدر اللجنة المالية إيرادات للمدرسة. يجب تعيين أولياء الأمور في بعض اللجان، حتى لو كانوا بعيدين عن المدرسة.

3- يجب أن يكون لدى كل مدرسة طريقة بارعة لتوليد الدخل .وهذا أحد أبرز التحديات التي أعاقت بعض الجهود الحقيقية في الماضي .يعد تحديد طرق توليد الدخل لإدارة مدارس تسانغايا أمرًا ضروريًا للغاية .وقد تشمل بعض الطرق الأساسية لتوليد الدخل ما يلي :إنشاء مزرعة منظمة موجهة نحو المكافأة للطلاب والمتطوعين الأصحاء والناضجين للحفاظ على المساهمة الضرورية من أولياء الأمور وأعضاء المجلس واللجان، وجمع الزكاة والحصول على المساعدة الدولية من الخارج منظمات مثل البنك الإسلامي للتنمية (IDB)، ورابطة العالم الإسلامي، ومنظمة الإغاثة الإسلامية وحتى من رؤساء الدولة من المسلمين.

4- هو تطوير منهج مثالي وواقعي. هناك العديد من النماذج التي يمكن اعتمادها، ولكنني أقترح أن يسمح للأطفال الأذكياء بإتمام حفظ القرآن وعلومه الأساسية عن ظهر قلب، وبعد الانتهاء من حفظ الكتاب المجيد، يمكنهم الالتحاق بالمدارس العامة أو التقدم في الدورات المهنية حسب الحالة.

5- يجب أن تكون مدارس تسانغايا مراكز لاكتساب المهارات، كما يجب توظيف موظفين ماهرين لتدريب الطلاب على مختلف المهن ويجب أيضًا منحهم مبلغًا صغيرًا من المال عند الانتهاء لبدء أعمالهم التجارية الخاصة.

6- يعد إطعام الطلاب استراتيجية أخرى مهمة جدًا لإبعادهم عن الشوارع. حيث إن هذه الإستراتيجية ستتكامل مع برنامج الحكومة الفيدرالية لبرنامج التغذية المدرسية.(Special Feeding Programme)

7- يجب علينا أيضًا توفير السكن للطلاب باستخدام المواد المتوفرة محليًا لتقليل التكلفة.

8- ينبغي توضيح نوع المنهج المستخدم في هذا البرنامج بطريقة تتضمن تعلم القرآن والحديث والفقه الإسلامي .وهذا سيعطي المشروع قبولا في المجتمع .

شكر وتقدير

يزجي المؤلفون خالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في هذه الدراسة إثراء لساحة البحث العلمي، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

إقرار المصالح

يؤكد المؤلفون عدم وجود أي تضارب في المصالح.

المراجع والمصادر

آدم عبد الله الإلوري. (2014). الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي (ط. 1). مكتبة الإسكندرية.

آدم، سليمان عثمان. (2011 .(*تسانغايا في القرن الجديد*)(الطبعة الأولى). مطبعة الحكومة، كانو.

آسية بنسلمون. (2019). الكتاتيب القرآنية: نشأتها ودورها في المجتمع المسلم.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (2004). مقدمة ابن خلدون (تحقيق عبد الله الدرويش، ط. 1). دار يعرب.

إسماعيل بن عمر بن كثير. (1991). البداية والنهاية. مكتبة المعارف.

بن سحنون، محمد. (1972). آداب المعلمين (تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، ط. 1). مطبعة المنار – تونس.

جبرين، محمد منصور. (2020). دور الكتاتيب في تعليم مهارة القراءة للناطقين بغير العربية: مدينة كنو أنموذجا.

خالد حسن عبد الله. (2005). مهارة الكلام لدى الطالب النيجيري. مجلة الحكمة، العدد الأول (ج4)، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة عمر موسى يرأدوا، كتشنة – نيجيريا.

خالد حسن عبد الله. (2015). التعليم العربي الإسلامي في نيجيريا (ورقة قدمت في المؤتمر الدولي التاسع للغة العربية). الجمعية الدولية لأقسام العربية.

خالدي، محمد عبد الحي الكتاني. (1381هـ). نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية (تحقيق عبد الله الخالدي، ط. 2). دار الأرقم.

سليم حكيم. (1966). تعليم اللغة العربية في نيجيريا (الطبعة الأولى). وزارة الثقافة والإرشاد.

سنوسي، إيغودا. (2006 .(*نظام المدارس القرآنية في شمال نيجيريا*)الطبعة الأولى). مطابعK2 ، كانو.

شيخو أحمد غلادنث. (1993). حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (الطبعة الثانية). شركة العبيكان للطباعة والنشر.

علي أبوبكر. (2014). الثقافة العربية في نيجيريا (الطبعة الثانية). دار الأمة.